

منبر الجمعة
مجموعة خطب مختارة
المجموعة السادسة

تأليف

عبد الرحمن بن علي بن محمد العسكر

مصدر هذه المادة :





بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان بالملائكة

الحمد لله فاطر السماوات والأرضِ جاعلِ الملائكة رُسلا أولي أجنحة مثنى وثلاثَ ورباع أحمده سبحانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يخلق ما يشاء وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أكمل الخلق توحيدًا وأبرُّهم عملاً وأتقاهم لربه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس بالوصية الدائمة التي كرَّرها الله في كتابه، وصيةُ الله للأولين والآخرين: الوصيةُ بتقوى الله ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

أيها الناس: إن من الأصولِ الثابتة التي قامت عليها السماوات والأرض، بل هي أصلُ الأصولِ، هي معرفة أن الله ربَّ العالمين الرحمن الرحيم المالكُ المتصرفُ ذو الألوهيةِ والعبوديةِ على خلقه أجمعين، وأن جميعَ الكون وكل ما فيه خلقه وملكه وعبيده وتحت تصرفه وقهره ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣، ٩٤].

عباد الله: لقد أخبرَ رسول الله ﷺ – وخبرُه صدقٌ — عن افتراقِ هذه الأمة إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة كلهم ضُلَّال إلا فرقة واحدة، هي التي وافقت هدي الكتاب والسنة وسارت على نهج المصطفى ﷺ

وأصحابه من بعده.

إن هذا الافتراقُ شاملٌ لكل أمور الدين عقيدة وعملاً، ولكن التفرقَ قد يُعالج إلا في باب واحد إذا كُسر فلا يُمكن إصلاحه إلا بإعادته جديدًا كما كان، لا يصلح في سده باب فيه ثقوب أو خلل، إنه باب التوحيد والاعتقاد، باب أهلِ الزيغِ والضلال فيه فرقٌ شتى كل فرقةٍ فرحة بما عندها، أما أهل السنة والجماعة الذين ساروا على النهج فإنهم على خط مستقيم في هذا الأمر بل وفي جميع أمورهم، ولكن باب التوحيد والاعتقاد يخصُّونه بمزيد اهتمام ومزيد عناية لأن الضلال فيه ضلال كبير والخطأ في التوحيد ليس كخطأٍ في غيره.

أيها الناس: إن أكثر ما جاء الانحراف إلى طوائف شتى في هذا الباب بسبب أمرين: الجهل؛ فكثير من الناس يجهلون أمور معتقدهم التي يعتقدونها وقليل ممن آتاهم الله علمًا يتحدث عنها، ولو أن الناس إذا جهلوا شيئًا سألوا عنه لبلغوا مرادهم ولكن على نفسها جَنتْ، ولا ينال العلم مُستحٍ ولا مُستكبرٌ.

أما السبب الثاني: فهو أن فِئامًا منهم أخذوا هذا العلم من غير مصدريْه الكتاب والسنة.

العقل – أيها الناس – لا دخل له في باب العقيدة، لأنها من باب الغيب؛ والغيب لا يُعلم إلا بوحي.

إذا كان ذلك كذلك فاعلموا أيها الناس – أن عليكم أن تؤمنوا بأن دين المرء يقوم على أصول ستة هي كالعُمُد للبنيان، لو سقط منه عمودٌ سقط البناء أو لا يزال مخلخلاً.

ستة أصول ينبغي لكل مؤمن ومؤمنة الإيمان بها والإقرار بمضمونها إيمانًا، لا خلل فيه وإقرارًا لا يعتريه نقص، لخَّصها رسول الله ﷺ حين جاءه جبريل عليه السلام، فسأله عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.

الإيمان بالملائكة أحد تلك الأصول الستة التي من أقر بها فقد استكمل الإيمان، والملائكة عباد الله: عالمٌ غيبي مخلوق عابدون لله ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور ومنحهم الانقياد التام لأمره والقوة على تنفيذه ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

الملائكة رسل من رسل الله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١]. الملائكة عدد كثير لا يُحصيهم إلا الله سبحانه، جاء في الصحيحين من حديث أنس في قصة المعراج أن النبي ﷺ رُفع له البيت المعمور في السماء فرأى أنه يُصلي فيه سبعون ألف ملك كلَّ يوم إذا خرجوا لا يعودون إليه آخر ما عليهم، يعني: لا يأتيهم الدور مرة أخرى.

الملائكة ﴿مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. جاء في الحديث: «أَطَّتْ السماء وحُقَّ لها أن تَئِطَّ ما فيها أربعة أصابع إلا وملك قائم راكع أو ساجد».

عباد الله: الإيمان بالملائكة يتضمنُ أربعة أمور لا بد من الإقرار بها حتى يكون الشخصُ مؤمنًا بهم:

الأول: الإيمان بوجودِهم وأنهم خلقٌ من خلق الله كما جاءت به الآيات والسنن.

الثاني: الإيمان باسم من عَلِمنا اسمه منهم، ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً دون حاجة إلى معرفة اسمه، ومما ينبغي أن يُعلم هنا أنه لم يصح من أسماء الملائكة إلا قليل، وهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وملكان يسألان الميت لم يثبت تسميتها بحديث صحيح.

أما الأمر الثالث عباد الله: ألإيمان بما علمنا من صفاتهم، فقد صح عنه ﷺ أنه رأى جبريل على صفته التي خُلق عليها وله ستمائة جناح قد سَدَّ الأفق، وقد أعطاهم الله من القدرة في التمثل في صورٍ عديدة كما قال الله عن جبريل لما بعثه إلى مريم ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]. وجاء جبريل إلى النبي ﷺ في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد من الصحابة فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ثم سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ثم قال عنه ﷺ: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. رواه مسلم. وجاء مرة على صورة دِحية الكَلْبِيَّ، وكذلك الملائكة الذين جاءوا إلى نبي الله إبراهيم ونبي الله لوط كانوا على صورة رجال، ولكن تَمَثُّلهم في صورة البشر إنما هو بأمر الله وقدرته ليس للملائكة أمر فيه.

أما الأمر الرابع أيها الإخوة مما يجب اعتقاده في الملائكة: فهو

الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها: كتسبيحهم لله وعبادتهم له ليلاً ونهارًا بدون ملل أو فتور. كما أنه ينبغي لنا أن نؤمن بأن لبعضهم أعمالاً خصَّهم الله بها مما فيه مصلحة البشر: فجبريل موكلٌ بما فيه حياةُ القلوب وهو الوحي ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]. وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الأجساد بعد موتها، وميكائيل موكل بإنزال المطر والنبات اللذين بهما حياة الأرض، فهؤلاء الثلاثة جعل الله على أيديهم حياةَ القلوب وحياةَ الأبدان وحياةَ الأرض، ولقد كان ﷺ يستفتح صلاة الليل بقوله: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة...».

ومنهم مَالِكٌ موكلٌ بالنار، يقول الله عن أهل النار: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. وملك موكل بالجنة، وملك الموت الذي يقول الله عنه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]. قادرٌ بأمر الله على قبض نفسٍ في المشرق وأخرى في المغرب في آنٍ واحدٍ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾. وملكان موكلان بسؤال الميت في قبره كما بت في أحاديث صحيحة.

ومما ينبغي معرفته هنا أن ثَمَّة ملكين مع كل شخص يكتبان عليه جميعَ أعماله ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨]. فإياك إياك

أيها المسلم أن يُكتب عليك ما يسوؤك يوم القيامة.

لما دخلوا على الإمام أحمد وكان مريضًا فإذا هو يئنُ أنين المريض، فقيل له يا أبا عبد الله: إن طاووسًا – وهو أحد التابعين – يقول: «إن أنين المريض يُكتب عليه» فأمسك عن الأنين.

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الإنسان سوف يخرج له يوم القيامة: ﴿كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

اللهم زينا بزينة الإيمان وجنبنا الزلل في القول والعمل، أقول هذا القول وأستغفر الله..

* *

الخطبة الثانية

الحمد لله يعلم السرَّ والنجوى لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها الناس وتعلموا من العلم ما تقيمون به دينكم فإن خير العلمِ العلمُ الذي يزيد المؤمنَ إيمانًا بربه.

عباد الله: السؤال الذي أراه عالقًا بذهن كثير من الناس هو قولهم: ما فائدة الإيمان بالملائكة؟ ألا فليعلم كلُّ مؤمن أن الإيمان

بملائكة الله يُثمر ثمرات جليلة، أولها: العلم بعظمة الله وقوته وسلطانه فإن عَظمة المخلوق من عَظمة الخالق، ثم ثانيها: شكر الله عز وجل على عنايته بخلقه حين وكلَّ من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغيرِ ذلك من مصالحهم. والثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

أيها الناس: إن الملائكة أجسامٌ تتحرك ليست بقوى معنوية كما قال أهل الزيغ والضلال يقول الله عنهم: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]. ويقول: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]. ويقول الله عن أهل الجنة: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]. ويقول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٥].

وثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يُحب فلانًا فأَحِبه فيُحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يُحب فلانًا فأحِبوه فيُحبه أهلُ السماء ثم يُوضع له القبول في الأرض**».

وصلاتكم هذه أيها الناس يقول الرسول ﷺ: «**إذا كان يومُ الجمعة كان على كلِّ باب من أبواب المسجد ملائكةً يَكتبون الأولَ فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصُّحف وجاءوا يستمعون الذكر**» رواه البخاري.

عباد الله: هذه نبذةٌ مختصرة مما يَلزم المؤمن اعتقاده في ملائكة الله. بصَّرنا الله بالعلم النافع ورزقنا عملا صالحًا. اللهم صل على معلم البشرية محمد ﷺ وارض اللهم عن أصحابه أجمعين.



الأمرُ بالعلاجِ والتداوي

أما بعد: فإن الوصيةَ هي أن تتقوا الله في جميع أموركم، فإن تقوى الله هي الملتجأ عند البلايا، وهي السلوان عند الهموم والرزايا.

عباد الله: الإنسان في نظر الإسلام أغلى ثروةٍ وأكرم مخلوق، يُجِله ويحترمه ويصونه ويحفظه، ويعمل لنموه وكماله، وعلى حقنِ دمه، وبقاءِ نوعه، ونضوج عقله وتقدُّم وعيه، وبُلوغه من الرُّقي والتقدم الحدودَ الممكنة والمستطاعة ليكون في أحسن تقويم.

ولكن الإنسان في هذه الحياة هدفٌ للبلايا والمحن، ولا يخلو حيٌّ من نكد، ولا يصفو وقت من كدرٍ، ومحنُ الحياة وشدائدها امتحان واختبار فمن رضي فله الرضا، ومن سَخِط فعليه السخطُ ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣]. ويقول ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمرَه كله خير، وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراءَ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**».

وإن من أعظم ما يُصيب الإنسان في حياته من الابتلاء: الابتلاءُ بالأمراض والأسقام.

الناس – عباد الله – مُجمعون إجماعًا لا شك فيه أن الصحة تاجٌ لا يعرفه إلا المرضى.

الصحة والعافية نعمة مغبونٌ فيها كثير من الناس، ولكن المرض

منتشر بين بني آدم انتشار النار في الهشيم، لا يخلو منه زمان ولا يسلم منه عصر؛ بل لا يسلم منه أحد إلا من رحم الله، بل إن الواحد إن سَلِم من شدة مرض فلابد أن يصيبه شيء من رشاشه المتناثر هنا وهناك.

ثمانيـــة لا بـــد منهـــا علـــى الفـــتى
ولا بـــد أن يجـــري عليـــه الثمانيـــة
ســـرور وهـــم واجتمـــاع وفرقـــة
ويســـر وعســـر ثم ســـقم وعافيـــة

الأمراض والأسقام وإن كانت ذات مرارة وثقل واشتداد وعَرَكٍ، إلا أن الباري جل شأنه جعل لها حِكمًا وفوائدَ كثيرة، علمها من علمها وجهلها من جهلها، ولقد أحصى الإمام ابن القيم في كتابه شفاءُ العليل ما للمرض من فوائد وحكم فزادت على مائة فائدة وقال: انتفاعُ القلب والروحِ بالآلام والأمراض، أمر لا يَحس به إلا من فيه حياة، فصحةُ القلوب والأرواح موقوفةٌ على آلام الأبدان ومشاقها.اهـ. ومن هذا المنطلق فإن المرض يجتمع فيه الكافر والمسلم والبر الفاجر ولكنهم يفترقون في الثمرة، يقول ابن مسعود ﵁: «إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسمًا وأمرضهم قلبًا، وتلقون المؤمن من أَصَحِّ الناس قلبًا وأمرضهم جسمًا وأيْمُ الله لو مَرِضت قلوبكم وصَحَّتْ أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجُعْلان». ودخل سلمان الفارسي على مريض يعوده فقال له: (أبشر فإن مرضَ المؤمن يجعله الله كَفَّارةً ومُستعتبًا وإن مَرض الفاجر كالبعير عَقلَه أهلُه ثم أرسلوه فلا يدري لم عُقِل ولا لِمَ أُرْسِل).

وبعد أيها الناس فإن الإسلام جاء للمحافظة على بني البشر فلا ينبغي للمسلم أن يستسلم للمرض عجزًا وكَسلاً، لقد جاء الإسلام بالعلاجِ والأمر بالتداوي، بل لقد بنى لنا رسول الله ﷺ قواعدَ في العلاج وكيف تسير عليه، ولكن قبل ذلك أمور لابد من معرفتها وهي: أن يعلم المرء أن ما أصابه إنما هو من الله سبحانه وأنه بقضاء وقدر فلا مجال للتَّشكِّي والتَّضجُّر وليعلمَ أن ما أصابه شيء إلا بسبب ذنوبه، ومن حكمة الله أن يجعل العقوبةَ في الدنيا فلابد إذن للمريض من توبة واستغفارٍ وشكر لله أن جعل عقوبته في الدنيا دون الآخرة، وعلى المريض أن يتوكَّلَ على الله وأن يعتمد عليه في زوال ما أصابه.

عباد الله: كان من هديه ﷺ فِعل التداوي في نفسه والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، بل لقد أخبر أنه ما من مرض إلا وله دواء، ولكن الناس لا يعلمون، روى مسلم في صحيحه عن جابر أن النبي ﷺ قال: «**لكلِّ داءٍ دواءٌ فإذا أصابَ دواءٌ الداءَ بَرأ بإذن الله تعالى**». ولكن الدواء لا يجوز إلا إذا كان فيه أمران: أن يكون مباحًا غير حرام، وأن يكون نافعًا له فائدة، فإن الإنسان لا يملك نفسه حتى يجعلها محل تجارب لأدوية قد تُفلح وقد لا تُفلح، يقول ﷺ: «**تداووا عبادَ الله ولا تتداووا بحرام**». رواه أحمد وأصحاب السنن بسند صحيح. ويقول ابن مسعود: إن الله لم يجعلْ شفاءَكم في ما حَرَّمَ عليكم.

عباد الله: روى الإمام أحمد وابن ماجه والترمذي بسند صحيح: أن النبي ﷺ قال: «**ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شرًا من بطنه، بحسب**

ابن آدم لُقيْمات يُقمن صليه، فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لِنَفَسه». هذا حديث عظيم من أعظم أحاديث العلاج والتداوي وهو الكلام عن الغذاء والحِمْية، يقول أهل الطب كما ذكر ابن القيم: كل داءٍ قُدرَ على دفعه بالأغذية والحِمْية لم يُحاول دفعه بالأدوية، وقد اتفقوا على ذلك، وذكر أنهم قالوا: لا ينبغي للطبيب أن يُولع بِسَقْي الأدوية، فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داءً يُحَلِلْه أو وجد داءً لا يوافقه، أو زادت كميته قليلاً تشبثَ في الصحة وعبثَ بها.

ولقد اجتهد الأطباء في إيجاد أدوية لكثير من أمراض بني آدم وليس منها محظورٌ إلا ما كان مصنوعًا من حرام، أو هو حرام في نفسه كالخمر وما ماثله، يقول أحد السلف رحمه الله: مهما اجتهد الأطباء في أدويتهم فإن ما عندهم لا يساوي شيئًا في جانب ما أعطانا الله معاشرَ المسلمين، من الأدوية القلبية والروحانية، وقوة القلب واعتماده على الله والتوكل عليه، والالتجاء إليه والانطراح والانكسار بين يديه، والتذلل له والصدقة والدعاء والتوبة والاستغفار والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب، فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها، فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يَصل إليه عِلْمُ أعلم الأطباء.

أيها الناس: إن من العلاج الذي أرشدنا إليه ديننا لدفع الأمراض والأسقام، هو ذلك العلاج الذي صار الناس فيه بين غلو وتقصير وأهملوا جانبًا منه، وحرصوا على جانب آخر منه، إنها عبادَ الله الرُّقية الشَّرعيَّة، لقد رَقَى ﷺ نفسه ورقى أهله وأمر الصحابة بالرقية وقال:

«**لا بأس بالرقية بما ليس فيه شرك**». لما قال له أحد الصحابة: كنا نَرْقي في الجاهلية كيف ترى ذلك يا رسول الله، رواه مسلم، وقال ﷺ: «**لا رُقْيَةَ إلا من عينٍ أو حِمَّةٍ**» بل لقد رقى ﷺ بعضَ أهله، تقول عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ كان يُعوِّذ بعضَ أهله: يمسح بيده اليمنى ويقول: «**اللهم ربَّ الناس أذهبْ البأسَ اشفِ أنت الشافي لا شفاءَ إلا شفاؤُك شفاءً لا يُغادرُ سَقَمًا**» متفق عليه، بل إن عائشة رضي الله عنها رقت النبي ﷺ، تقول رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوِّذات ويَنْفُثُ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأُ عليه، وأمسح عليه بيمينه رجاء بركتها. رواه البخاري ومسلم.

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد أشتكيتَ؟ قال رسول الله: **نعم**، قال جبريل: باسم الله أُرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل نفسٍ وعينٍ الله يَشفيك».

وإن أعظم الرُّقَى عباد الله ما كان بكتاب الله عز وجل: إذ هو الشفاء الحقيقي لأمراض الناس ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾ [الإسراء: ٨٢]. ولقد سمَّى رسول الله ﷺ الفاتحة رُقية فهذا هو الواجب على المريض أن يَرقي نفسه بكتاب الله، وينفث بما ورد في سنة رسول الله ﷺ، لكن هنا أمرًا لابد من معرفته عباد الله، وهي أن الرقية تكون قبل وقوع المرض مثلما أن تكون بعده، فإن اللازم للمسلم الحق أن يُحصن نفسه من الأمراض قبل وقوعها بالأدوية الشرعية والنصائح النبوية، فإن من أهمل أوراد الصباح والمساء وأدبار الصلوات، وغفل عن قراءة القرآن حريٌ

أن تتسلط عليه شياطين الإنس والجن؛ فيصيبونه بما يؤذيه لأنه هو المفرط وهو الذي ضيع نفسه، ألم يقل ﷺ: «**من قرأ آيةَ الكرسيِّ في ليلةٍ لم يَزل عليه من الله حافظ ولم يَقربه شيطان حتى يُصبح**». رواه البخاري. وقال: «**مَنْ تَصبَّح بسبع تمرات عَجْوة لم يضرُّه ذلك اليوم سُمٌّ**». متفق عليه. إلى غير ذلك من تعاويذ غفل عنها كثير من الناس.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

* *

الخطبة الثانية

«من الأمر بالعلاج والتداوي»

الحمد لله رب العالمين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الواجب على الإنسان أن لا يحمله حبه للشفاء وحرصه على العافية، أن يقع في محاذير شرعية فيذهب للعلاج على أيدي المشعوذين والدجالين بحجة ذَهاب الناس لهم.

وإن التوسع عباد الله في جانب الرقية وإخراجها عن حدها المشروع أمر محرم مخالف للهدي النبوي، فإن الناس في هذا الزمان قد اتخذوا من الرُّقية حرفةً وتجارة تتمثل في أماكن للعلاج بها بمواعيد

وترتيبات، بل إن منهم من لا عمل له غيرها، وهذا عباد الله من العبث وضياع الأموال في غير ما شرع الله، بل إن منهم من بالغ في الرقية حتى أخرجها عن الحد الشرعي في صور غير خافية على العقلاء.

وفي ظلال ما قد سمعتم فإن هناك أمورًا لا بد أن يعرفها الناس:

أولاً: أن الرقية عبادةٌ ودعاء، وكل عبادة ليست على ما شرعه الله ورسوله فهي باطلةٌ وغيرُ صحيحة فهل كان من هدي النبي ﷺ أو من فعل أصحابه هذا الأمر، ثم لم يُؤثر عن السلف أن منهم من انقطع للرقية، وفرَّغ نفسه لها خدمة للمسلمين ورحمةً بهم —كما زعموا.

ثانيًا: أن حرص المريض على الشفاء والعافية لا ينبغي أن يدفعه إلى الذهاب لكل ساقط أو منحرف؛ فإن المريض حال مرضه أشبه ما يكون بالسكران الذي لا يشعر بما حوله، فلابد للأصحاء من تدخل في إرشاده وتوجيهه.

ثالثًا: أن الواجب على المرء أن يرقي نفسه بنفسه، بل إنها أفضل وأنفع من طلبه من غيره، فإن الله يقول: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]. والسوء هو المرض فعلى المريض أن يلجأ إلى ربه في الدعاء وطلب رفعِ ما أصابه.

رابعًا: واسمعوا ما أقول: إن الأمة العاقلة هي التي تأخذ من تاريخها الماضي دروسًا وعبرًا، وتعلمون ما وقع في هذه البلاد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من صور لبعض الشركيات والبدع.

يقول مؤرخ نجد عثمان بن بشر في كتابه: عنوان المجد بعد أن

ذكر صورًا من هذه الشركيات قال: والسبب الذي أحدث ذلك في نجد- والله أعلم- أن الأعراب إذا نزلوا في البلدان وقت الثمار صار معهم رجال ونساء يتطببون ويداوون الناس، فإذا كان في أحد من أهل البلد مرض أتى أهله إلى مُتطبِّبٍ تلك البادية فيسألونهم عن الدواء لِعلته فيقولون: اذبحوا له في الموضع الفلاني كذا وكذا، وذلك ليحققوا معرفتهم للطب عند هؤلاء الجهلة ثم يقولون لهم: لا تسموا الله على ذبحه، وأعطوا المريض منه كذا وكذا، وكلوا منه كذا وكذا، واتركوا كذا وكذا، وربما يشفي الله مريضهم فتنةً لهم واستدراجًا وربما يوافق وقت الشفاء حتى كثر ذلك في الناس، وطال عليهم الأمد فوقعوا بهذا السبب في عظائم... إلى آخر كلامه. فانظروا عباد الله كم رأيتم بين هؤلاء القراء من هو في ضرب من الدجل والشعوذة والسحر، فإذا لم ينتبه عقلاء الناس للخطر أوشك الخطر أن يقع.

إن خير الحديث كلام الله.



الزنا وخطره

الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده لسلوك صراطه المستقيم، وهداهم إلى نهج الفطرة، أحمده سبحانه أن شرع لنا هذا الدين القويم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رفع منار الفضيلة وقمع الرذيلة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، التقوى التي تُصاحب المؤمن في كل وقت وكل حين، ولن ينجو من أهوال يوم القيامة إلا المتقون.

عباد الله: الناس مهما بلغوا من قوة فإنهم عاجزون عن مجابهة الله عز وجل، فما من قاهر أو قادر إلا والله فوقه، ومع ذلك فإن الله ينذر عباده بما يُرسل بينهم من الآيات ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآَيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]. ولن يعود للمسلمين جميعًا مجدهم الغابر، ولا كلمتهم العالية إلا بتحقيق قول الله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

متى ما حقق الناس المطلوب حقق الله لهم ما يطلبون، وإن المسلمين مطالبون دائمًا بفتح سجل أعمالهم لينظروا ما اقترفوه من الذنوب، فإنه ما من ذنب إلا وتتبعه عقوبة، وما من عقوبة إلا ولها

ذنب كان سببًا لوقوعها، روى ابن ماجه وأبو نعيم والحاكم وصححه ووافقه الذهبي بأسانيد مختلفة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر المهاجرين: خمسٌ إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُلعنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيَّروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**».

أيها الناس: إن الإسلام دعا أفراده كي يسيروا صفًا واحدًا تجاه المخالف حتى يعيدوه إلى رشده وإلا فإن الرسول ﷺ قال: «**لتأمرُّن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذوا على يد السفيه ولتأطرُّنه على الحق أطرًا ولتقصُرُنَّه على الحق قصرًا أو ليعُمنَّكم الله بعقاب من عنده**».

عباد الله: إن المجتمع الإسلامي النظيف هو الذي ترتفع فيه أعلام الفضيلة وتتضافر جهود أفراده على قمع الرذيلة في كل دروبها، وإن من حسنات هذا الدين سعيه لصلاح الأفراد والمجتمعات ومحاربة الفواحش وإقامة مجتمع إسلامي نظيف بعيد عن الجرائم الأخلاقية المفسدة، والمحافظة على الأعراض والأنساب وصيانة الفروج والدماء،

بل إن الله تعالى ربط صلاح المؤمنين وفلاحهم بحفظ فروجهم وصيانة أعراضهم.

إن هناك جريمة هي من أقبح الجرائم، ذكرها رسول الله ﷺ في الحديث السابق، هي من أمقت الذنوب عند الله وأكثرها بشاعة، ما عصي الله سبحانه بعد الإشراك به بأعظم ولا أقبح منها، وهي خطر على المجتمعات البشرية، ما انتشرت في أمة إلا وأهلكتها ودمرتها، ولا فشت في مجتمع إلا قوضت أركانه وهدمت بنيانه، من أفحش الفواحش وأكبر الفضائح تقتل الرجولة، وتذيب الحرية وتهتك الأعراض وتبدد الأموال، وتؤدي إلى اختلاط الأنساب، وتفسد الأخلاق وتفضي بالأمة إلى الفناء وتدعوها للشقاق والعناء، إنها جريمة الزنا.

عباد الله: الزنا انتكاس في الفِطَر، وفساد في القلوب، وسبب لإيجاب الذل والعار والشنار وصاحبه مُتوعَّد بالعقوبة في الدنيا قبل الآخرة، والواقعون في الزنا جراثيمُ مفسدة، وأعضاء مسمومة في المجتمع تؤدي به إلى درك المهالك، وتقوده إلى الهوة السحيقة التي لا فلاح بعدها ولا نهوض وكما قيل: «ودت الزانية لو زنى النساء». هم في الحقيقة أصحاب نفوس ضعيفة، وإرادات سافلة، وقلوب غافلة قد أسرتها الأهواء والشبهات، واستحكمت عليها الشهوات والدنايا دون رادع من دين أو خُلق أو مروءة.

الزنا أيها الناس سبب البلايا وطريق التعاسة والعناء، يقضي على الأمم، ويهلك الديار ويبدد الممالك، ويقضي على الأخلاق، يقول الله تعالى واصفًا حال الزنا وضرره وفساده: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ

﴿فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. وقد قرنه الله بالشرك والقتل؛ فقال في وصف عباده المتقين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩]. وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**» قال قلت ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافةَ أن يُطعم معك**» قال قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تُزاني بحليلة جارك**» فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآيات.

وفي الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يُزكِّيهم ولهم عذاب أليم: شيخٌ زانٍ وملك كذاب وعائل مستكبر**». وعن ابن عباس مرفوعًا: «**ما ظهر الغلولُ في قوم إلا ألقي في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنا في قوم إلا كثر فيهم الموت**». رواه مالك في الموطأ وصححه ابن عبد البر.

فكأن الرسول ﷺ يتحدث عن واقع الناس اليوم من ظهور أمراض لم يجدوا لها علاجًا، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «ما ظهر الربا والزنا في قرية إلا إذن الله بإهلاكها». وقال الإمام أحمد: «لا أعلم بعد قتل النفس شيئًا أعظم من الزنا».

وعن ميمونة زوج النبي ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**لا تزال أمتي بخير ما لم يَفشُ فيهم ولدُ الزنا فإذا فشا فيهم ولد الزنا فيُوشك أن يعمهم الله بعقاب**». رواه أحمد.

الزنا أيها الناس يجمع خلال الشر كلها من قلة الدين، وذهاب الورع وفساد المروءة، وقلة الغير فلا نجد زانيًا معه ورعًا، ولا وفاءً بعهد، ولا صدقًا في حديث، ولا محافظة على صديق، ولا غيرةً تامةً على أهله، ولو بلغ الرجل أن امرأته ماتت أو قتلت لكان أسهل عليه من أن يبلغه أنها زنت عياذًا بالله.

روى الخرائطي عن عكرمة قال: سمعت كعبًا يقول لابن عباس: ثلاث إذا رأيتهن: السيوف قد عريت، والدماء أهريقت فاعلم أن حكم الله قد ضُيع؛ فانتقم الله لبعضهم من بعض، وإذا رأيت القطر قد حُبس فاعلم أن الزكاة قد مُنعت، منع الناس ما عندهم فمنع الله ما عنده، وإذا رأيت الوباء قد فشا فاعلم أن الزنا قد فشا».

يقول ابن القيم رحمه الله: «من موجبات الزنا غضب الرب بإفساد حُرمه وعياله ولو تعرض رجل إلى ملك من الملوك بذلك لقابله أسوأ مقابلة، ومنها سواد الوجه وظلمته وما يعلوه من الكآبة والمقت، الذي يبدو عليه للناظرين، ومنها ظلمة القلب وطمس نوره، ومنها الفقر اللازم، ومنها أنه يذهب حرمة فاعله، ويُسقطه من عين ربه ومن أعين عباده، ومنها أنه يَسلبه أحسن الأسماء وهو اسم العفة والبر والعدالة، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر والفاسق والزاني والخائن، ومنها أنه يفارقه الطيب الذي وصف الله به أهل العفاف، ويستبدل به الخبيث الذي وصف الله به الزناة ﴿**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ**

لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾.

إن الزنا أيها الناس: جريمةٌ تَئِنُ منها الفضيلة، ويبكي منها العفاف وما عُصي الله تعالى بعد الشرك به بذنب أعظم من نطفة يضعفها الرجل في فرج لا يحل له.

ومن قُبح الزنا وشدة ضرره جعله من أوتي جوامع الكلم ﷺ منافيا للإيمان فإذا ارتكب العبد الزنا خرج منه الإيمان لا يعود إليه حتى يُقلع عنها، ويتوب إلى الله منها فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**»، متفق عليه. وقال ﷺ: « **إذا زنى العبد خرج منه الإيمانُ فكان فوق رأسه كالظُّلة فإذا خرج من ذلك العمل عاد إليه الإيمان**» رواه أبو داود والترمذي والحاكم.

عباد الله: إن الناظر في تعاليم هذا الدين يرى أنه ما سعى إلى شيء سعيه إلى حفظ الفروج، وسد كل طريق يوصل إلى الزنا:

- أمر الشباب بالمسارعة إلى الزواج «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءةَ فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**».

أمر الناس ذكورًا وإناثًا بغض أبصارهم عن الحرام ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ

﴿فُرُوجَهُنَّ﴾ النظر سهم من سهام إبليس، ومن أطلق نظره إلى ما حرم الله فقد أورد نفسه موارد الهلاك والسوء: يقول ﷺ: « **يا عليُّ لا تُتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**». رواه أبو داود والترمذي والإمام أحمد.

- منع الإسلام خُلُو الرجل بالمرأة التي ليست له محرمًا لأنه سبب لإغراء الشيطان بينهما يقول ﷺ: « **لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**» متفق عليه.

- منع الإسلام المرأة من التبرج وإظهار الزينة لغير زوجها ومحرمها صيانة لها ولغيرها من الرجال ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

- منع الإسلام المرأة أن تسافر بدون محرم؛ لأن في ذلك ضياع لها وغياب عن الرقيب من أوليائها والغيورين عليها. يقول ﷺ: « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها**». رواه مسلم والبخاري.

- حرم الإسلام سماع الغناء لأنه بريد الزنا وما داوم عبد على سماعه إلا طمس الله على قلبه يقول: فلعمر الله كم من حُرَّة صارت بالغناء من البغايا، وكم حُرّ أصبح عبدًا للصبيان والصبايا، كم جَرَّع من غُصَّة وكم أزال من نعمة وجلب من نقمة.

- نهى الإسلام عن الجلوس في الطرقات كيلا تقع العين على حرام فَتَفْتِن أو تُفْتَن، روى البخاري ومسلم في صحيحه أنه ﷺ قال:

«**إياكم والجلوسَ في الطرقات**» قالوا يا رسول الله ما لنا بد من مجالسان نتحدث فيها قال: «**فإذا أبيتم إلا المجلسَ فأعطوا الطريق حقه**»، قالوا: وما حقه؟ قال: « **غضُّ البصر وكفُّ الأذى وردُّ السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**». ومن أروع ما جاء به الإسلام مانعًا من جريمة الزنا ما جاء عن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أحدُكم أعجبته المرأةُ فوقعت في قلبه فليَعْمَد إلى امرأته فليُواقعها فإن ذلك يردُ ما في نفسه**».

أقول قولي هذا وأستغفر الله فاستغفروه.



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين يبدل السيئات بعد التوبة حسنات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله: واعلموا أن الزنا بِشع في جُرمه، بشع في ذكره تستنكره حتى الحيوانات، أرأيتم القرد ذلك الحيوان الذي يستقبحه الناس هو خير من أناس كثيرين، روى البخاري في صحيحه عن عمر بن ميمون الأوديِّ قال: «رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة قد زنت فرجموها فرجمتها معهم».

كم في الناس اليوم من هذه القردة خير منه، وإلا فما بال الناس

اليوم يذهبون زرافات ووحدانًا إلى بلاد الكفر والإباحية، وكم من بلاد إسلامية يقصدها الناس أقل ما فيها أنها تُذيب الغيرة منهم.

وماذا يقال عن ما نشاهده من خروج المرأة متبرجة أمام الناس في الأسواق والمنتديات؟ وماذا عسانا أن نقول عن سماح بعض الناس لمحارمهم بالخلوة مع الرجال في سيارة أو عمل؟ ومهما قلت فلن تبلغ مرادك ممن أدخلوا ذلك العفن الفضائي إلى بيوتهم ويكفي أن غيرتهم ماتت أو هي على وشك.

إن الغيرة إذا ذهبت من قلوب الناس فقد آن لجدار العرض أن يَهوِي، ولعُودِ الحياء أن يميل. روى البخاري ومسلم عن المغيرة ﷺ قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصْفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: « **أتعجبون من غَيرَة سعدٍ! والله لأنا أغيَرُ منه والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العُذْرُ من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المِدحةَ من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة**».

أيها الناس: إن جريمة الزنا تقود إلى جرائمَ كثيرة فالزنا يُجَرِّئ الزاني على قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وكسب الحرام، وظلم الخلق وإضاعة أهله وعياله، وربما قاده قسرًا إلى سقط الدم الحرام، وربما استعان عليه بالسحر وبالشرك وهو يدري أو لا يدري، فهي معصية لا تتم إلا بأنواع من المعاصي قبلها ومعها، ويتولد عنها أنواع أخرى من المعاصي بعدها، فهي محفوفة بجندٍ من المعاصي قبلها وجند

بعدها، وهي أجلب شيء لشر الدنيا والآخرة، وأمنعُ شيء لخيري الدنيا والآخرة، وإذا علقت بالعبد فوقع في حبائلها عز على الناصحين استنقاذه وأعيي الأطباء دواؤه. وانظروا كيف جمع الله بين الخمر والزنا يوم القيامة، روى الإمام أحمد وغيره بسند صحيح عن أبي موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر**».

أيها الناس: إن المسئولية عظيمة والخطر أعظم فاتقوا الله وأصلحوا بيوتكم وتناصحوا وأكثروا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عسى أن نسد خللا أو نُصلح فَتْقا.

عباد الله: إن الله وملائكته يصلون على النبي.



العمل باليد

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

عباد الله: إن التقوى هي المصاحبة للمؤمن في كل حين وعلى كل حال: فاتقوا الله جميعا أيها الناس في سركم وعلانيتكم.

عباد الله: الإنسان في هذه الحياة مجبولٌ على أمور كثيرة، قد لا

يستطيع الفكاك من بعضها مهما حاول، ومن تلك الأمور: المال ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.

وفي الحديث الصحيح: «**لا يزال قلبُ الكبير شابًا في اثنتين: في حب الدنيا وطول الأمل**». [متفق عليه].

المال في حقيقته لا يُطلب لذاته وإنما يطلب لأنه وسيلة لغيره، مما يحقق ويأتي بسببه من منفعةٍ أو مصلحة، والوسيلة ينالها المدح وينالها الذم بمقدار ما يتوصل إليها به وما توصل هي إليه، فالمال كالسلاح، إن كان في يد مجرم قتل به الأبرياء والضعفاء، وإن كان في يد مجاهد مناضل دافع به عن دينه ونفسه وأهله ووطنه، وانظروا إلى قول الله سبحانه عن المال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾.

عباد الله: المال في حد ذاته خير ونعمة من الله وقيام بمصالح العباد، ولكن تصرف الإنسان في هذا المال قد يخرجه من هذه الخيرية إلى ضدها، والمال من أعظم الفتن التي يبتلى بها الناس: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

ولقد حثَّ الإسلام – أيها الناس – المرء على جمع ما يقوت به أهله وعياله من المال الحلال قال ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «**إنك إن تذر ورثتك أغنياءَ خير لك أن تذرهم عالة يتكففون الناس**» [متفق عليه].

ويقول ﷺ: «**كفي بالمرء إثما أن يُضيع من يَقُوت**». [رواه أحمد ورواه مسلم بلفظ آخر].

عباد الله: جاء الإسلام حاثًّا على طلب هذا المال بالطريق المشروع، فحثَّ على الجد والعمل و حذَّر من البطالة والكسل، وفتح السُّبل في وجه مُبتغي الرزق الحلال والمال الطيب: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.

ويقول الله سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

فرتَّب الفلاح سبحانه على طلب الرزق الحلال وأداء واجب الطاعات وذكره جل وعلا.

إن العمل والجِدَّ والمهنة كانت من أخلاق أنبياء الله ورسله، ثبت أن رسول الله ﷺ قال: « **ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**».

وروى مسلم أن النبي ﷺ قال: « **كان زكريا عليه السلام نجَّارًا**».

وروي أن إدريس عليه السلام كان خياطًا يتصدق بفضل كسبه، ولقد كان نبينا محمد ﷺ يبيع ويشتري، وقال لأصحابه: « **لأن يأخذ أحدكم أَحبُلَه ثم يأتي الجبل ثم يأتي بحزمة من حطب فيبيعها فيستغني بثمنها؛ خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**». [رواه البخاري].

وصحابته ﷺ ورضي الله عنهم امتهنوا المهن وباعوا واشتروا وطلبوا الرزق الحلال، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا المهنة؛ فإنه

يُوشك أن يحتاج أحدكم إلى مِهْنته».

وكان أبو الدرداء ليوقد النار تحت قدره حتى تدمع عيناه، وتقول عائشة: « كان أبو بكر ﷺ أَتْجَر قريش حتى دخل في الإمارة».

وأوصى قيس بن عاصم أبناءه عند وفاته فقال: «عليكم بالمال واصطناعه فإنه مَنْبَهَة الكريم ويُستغنى به عن اللئيم، وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل»، ويقول سعيد بن المسيب: «لا خير في من لا يطلب المال، يقضي به دينه ويصون به عرضه ويقضي به ذمامه، وإن مات: تركه ميراثا لمن بعده».

وقال الضحاك بن مزاحم: «شرف المؤمن: صلاة في جوف الليل وعِزُّه استغناؤه عن الناس». [رواه الطبراني بسند حسن مرفوعًا].

عباد الله: اتقوا الله تعالى، وإياكم والخمول والتكاسل، والاتكال على غيركم في خصوصيات حياتكم، واعلموا أن العمل وإن كان يسيرًا فهو خير من البطالة، وخير من انتظار النوال من أصحاب المال، وأعظم منه سؤال أصحاب الغنى فإن أعطاه فلقد بقيت المنة على ظهره يحملها، وإن منعه فقد اجتمع عنده سوءتان ذُلُّ الخيبة وذُلُّ السؤال.

يقول عمر بن الخطاب ﷺ: «مَكسبة في دناءة خير من سؤال الناس».

وروي عن لقمان أنه قال لابنه: «يا بني: استغن بالكسب الحلال، فإنه ما افتقر أحد إلا أصابته إحدى ثلاث خصال: رقة في دينه، أو ضعف في عقله، أو وَهَاءٌ في مروءته، وأعظم من هذا

استخفاف الناس به».

عباد الله: تَعوَّذ رسول الله ﷺ من أمور كثيرة ليُبين للناس مضرتها، ويستعين بالله على البعد عنها.

روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: « **تعوَّذوا بالله من الفقر والقِلَّة والذِّلَة**».

وروى النسائي وأبو داود أنه قال: « **اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيعُ**».

ورويا أيضا أنه ﷺ قال: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجُبن والبخل، وغَلَبة الدين وقَهْر الرجال**».

عباد الله: إنه لا يليق بالرجل العاقل أن يرضى لنفسه أن يكون حِمْلاً على المجتمع ثقيلاً لا فائدة منه، فارغًا عن شُغل، يقول عمر رضي الله عنه: «إني لأري الرجل فيعجبني شكله فإذا سألت عنه فقيل: لا عمل له، سقط من عيني».

وكان رضي الله عنه يأتي إلى قوم قابعين في المسجد بعد صلاة الجمعة يقولون نحن المتوكلون على الله؛ فيعلوهم بدرته وينهرهم ويقول: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تُمطر ذهبًا ولا فضة».

ويقول محمد بن ثور: كان سفيان الثوري يمر بنا ونحن جلوس بالمسجد الحرام فيقول: «ما يجلسكم؟ قلنا: ما نصنع؟ قال: اطلبوا من فضل الله ولا تكونوا عِيالاً على المسلمين»، اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا وعملاً صالحًا ورزقًا واسعًا، بارك الله لي ولكم...

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعز ويذل بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله بيده خزائن السماوات والأرض وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن أفضل المال ما كان من طريق حلال.

سُئل رسول الله ﷺ أي الكسب أفضل؟ قال: « عملُ الرجل بيده وكلُّ بيع مبرور». [رواه الطبراني وأحمد بسند صحيح].

أيها الناس: إن المال متى ما اجتمع مع الدين كان الدين قويًا وظاهرًا: ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا.

إذا كان المال في أيدي عباد الله صرفوه في طاعة الله، وفي مرضاته وأما إن كان المال عند قوم ضعف عندهم الدين؛ فهم عبءٌ على المسلمين يسيرون خلف المال، حيثما سار ساروا لا يحلون حلالاً ولا يحرمون حرامًا، يقول ﷺ: « **نعم المال الصالح للرجل الصالح**». [رواه الإمام أحمد بسند صحيح].

إن المال يذهب ويعود وما هو إلا وسيلة للإنفاق في سبيل البر والخير، وقبل ذلك في نُصرة الإسلام والمسلمين يقول ﷺ: « **أفضل**

الصدقة ما كان عن ظهر غني». [رواه الشيخان].

وروى الطبراني بسند صحيح: أن رجلاً مرَّ على النبي ﷺ فرأى الصحابة من جلده ونشاطه في العمل فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: « **إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يُعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياءً ومُفاخرةً فهو في سبيل الشيطان»**.

وروى الترمذي وابن ماجه بسند حسن عن النبي ﷺ أنه قال: « **التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»**.

عباد الله: بالمال الحلال والكسب الطيب استطاع المهاجرون إلى المدينة أن يزاحموا اقتصاد أهل الكتاب، أترونهم لو كانوا فقراء فهل يتم لهم ما أرادوا؟ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾.

ولما توفي الزبير بن العوام وكان عليه ديون للناس أحصيت تركته فزادت على ستين مليونًا، أكثرها من الأراضي والدور.

وقد قال ابن حجر مُعقبًا على هذا الحديث: فيه بركة العقار والأرض لما فيه من النفع العاجل والآجل بغير كثير تعب ولا دخول في مكروه كاللغو الواقع في البيع والشراء. اهـ.

أيها الناس: إن من أخطر ما يواجه الدولة حين تقوم على شعب اتصف بالدِّعة والكسل، وإن البلدان لا تقوم إلا بأفرادها وأبنائها

فكيف تنهض بلاد وقد أصيب أهلها بالعجز والبطالة أو الاتِّكال على غيرهم.

عباد الله: إن البطالة شر خطير، وداء فتاك أسرع ما يفسد طمأنينة الحياة وأعجل ما ينغص العيش، البطالة باب إلى التَّسوُّل، وطريق إلى السرقة، ومدخل إلى الغش والخداع والمكر.

الإسلام دين عزة وكرامة ورفعةٍ وسُمو، يحث على العمل الصالح والنافع، ويأمر بالقوة والاستعداد للكربات والنوازل.

فانظروا حال أنفسكم وتدبروا أموركم ثم صلوا...

